المقتطف

الجزء الثامن من السنة الثامنة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٨٩٤ الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣

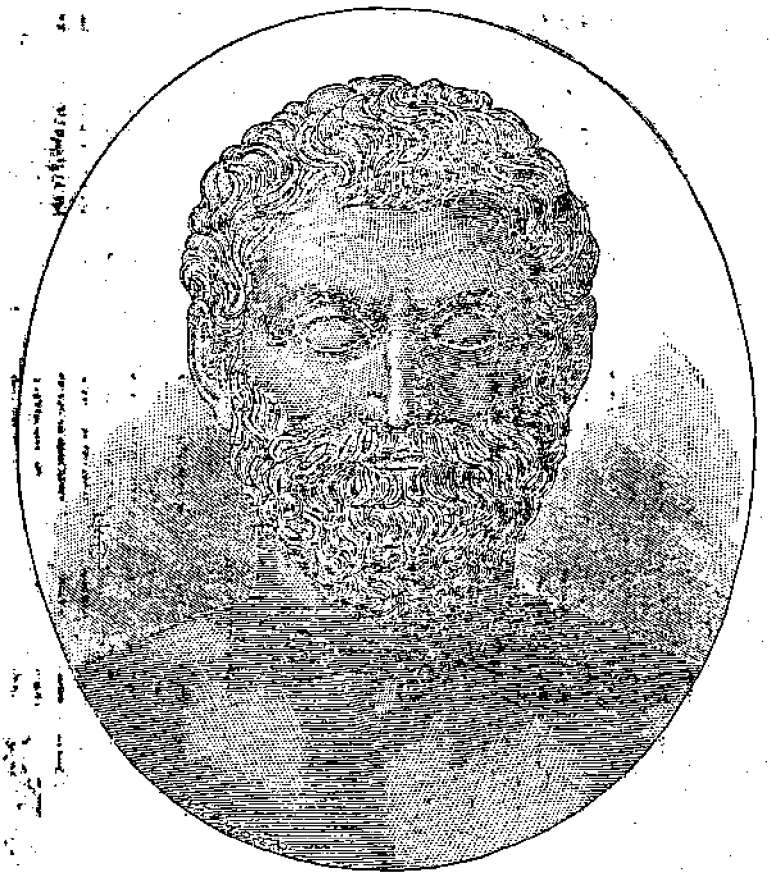

طاليس الحكيم

زعماء الكهربائية

لو قام احد منذ مئة عام وانبأ الناس انهم سيسخّرون قوة البروق والصواعق لنقل اخبارهم وحمل اثقالهم وتحويل اصواتهم الى قوّة كهربائيَّة تجري على الاسلاك المعدنيَّة ثم تعود اصواتاً مسموعة وانارة منازلهم وشوارعهم بانوار ساطعة تفوق الشمس بهاء لقالوا ان به جنة او خبالاً. لكنّ هذه الانباء قد تحققت الآن كلها وتحقق ما هو اغرب منها فتنتقل الاخبار كل يوم من اقصر الارض الى اقصاها في دقيقة من الزمان ولا ينشر عدد من الجرائد اليوميَّة الاَّ وترى فيه اخباراً واردة عليه ساعة نشره من ممالك اوربا واقاصي اميركا ونحو ذلك من البلدان القاصية. والذين جالوا في عواصم اوربا واميركا حديثاً رأوا المركبات الكهربائيَّة تسير بلا خيل ولا بخار وما المجري لها سوى قوّة الكهرباء. واما التليفون اشهر من ان يذكر ونحن نخط هذه السطور وجرسهُ يقرع بجانبنا ينبهنا الى ان بعض اهالي العاصمة او ضواحيها يريد مخاطبتنا. والنور الكهربائي قد انتشر الآن في اكثر عواصم الارض وأُنيرت به اكثر السفن الكبيرة ولا يبعد ان يُرَى في اكثر البيوت والمنازل بعد اعوام قليلة. وقد تمت هذه الامور كلها في القرن التاسع العاشر بل في العقدين الاخيرين منهُ لكن بزورها زرعت في العقول منذ خمسة وعشرين قرناً اي من ايام طاليس الحكيم فهو الزعيم الاول من زعماء الكهربائيَّة ثم انقطع حبل الاتصال بعدهُ الى ايام غلبرت وفرنكلين وفلطه وداقي. وسنذكر شيئاً من ترجمات هؤلاء الكرام لما لهم من الفضل على هذه الصناعة الحديثة الَّتي قرَّبت الابعاد وسهَّلت الاعمال

الاول طاليس الحكيم

نشأ علم الكهربائيَّة والمغنطيس من انتباه الناس الى قوة الجذب الظاهرة في المغنطيس وفي قطع الكهرباء اذا فُركت. ولا يُعلم من انتبه الى ذلك اولاً ولكنّ الكتَّاب الاقدمين يقولون ان طاليس الحكيم نسب قوة الجذب هذه الى روح كامنة في الكهرباء والمغنطيس فهو اول من نظر في هذه الحادثة وحاول تعليلها ولذلك يحسب مبدئاً للعلوم الطبيعية وزعيماً للعلماء الباحثين في الكهربائيَّة

وكل ما يُعلَم من امر هذا الرجل منقول عن ارسطو طاليس وفلوطرخس وديوجنس لارتيوس. ولم يعاصرهُ احد منهم والاخير نشأ في القرن الثاني بعد المسيح وطاليس كان

في القرن السابع قبلهُ فبينهما تسع مئة عام لكنَّ ما ثبتهُ من ترجمتهِ مخجل كلهُ ولا تبعد نسبتهُ الى الفيلسوف الاكبر بين فلاسفة اليونان

وكانت ولادة طاليس في مدينة مليتس باسيا الصغرى في السنة الاولى من الالمپياد الخامس والثلاثين وذلك يقابل سنة ٦٤٠ قبل المسيح . وكانت مليتس في ذلك العهد قصبة البلاد وكان لاهلها سفن كثيرة وتجارة واسعة مع كل الممالك التي على سواحل بحر الروم والبحر الاسود والاوقيانوس الاتلنتيكي وكانوا يصدرون الصوف من بلادهم ويجلبون اليها الجلود من البحر الاسود والبسط من سرديس والطيوب من بلاد العرب والعاج والذهب من مصر والحرير والارجوان من صور وصيدا

وكانت اسوار المدينة محاطة بغابات الزيتون وكروم العنب وحقول الحنطة وبقربها مدن كثيرة نشأ منها بعض الفلاسفة اليونان وحكائهم كبياس وفيثاغورس . وهناك هيكل ابلون معبود اليونان الاعظم ولم يزل ثلاثة من عُمُد هذا الهيكل قائمة على سيف البحر ارتفاع كلٍّ منها ثلاث وستون قدماً واما بقيَّة عمدهِ وحجارتهِ فقد لعبت بها يد الزمان وقرضتها انياب الدهر ووصل بعضها الى دار التحف البريطانيَّة وعلى حجر منها وهو في صورة اسد كتابة بالقلم اليوناني القديم وفي جملتها اسم طاليس مكتوب من اليمين الى اليسار كالكتابة الفينيقيَّة

اما المعبود ابلون فكان مجمع الفضائل عندهم ولعبادتهِ اليد الطولى في ما ظهر في اخلاقهم من الشهامة والنبالة وحب العلوم والفنون واللهو والطرب فانهم كانوا يعتقدون انهُ اله العدل الذي تنقضُّ صواعق غضبهِ على المجاهرين بالاجرام وانهُ معلم الشعراء واله الشعر والغناء والنبوة والكهانة وحامي القطعان والمواشي واله الطب والشفاء ومؤسس المدن والامصار ولا يُعبَد الاَّ بقلب نقي وضمير صالح . وهو اصلاً معبود اهالي اسيا الصغرى ولكن عبادتهُ شاعت في بلاد اليونان لطهارتها وتسلطت على عقول فلاسفتهم وتماثيلهُ من ابدع ما صنعهُ النقَّاشون في عهد اليونان والرومان كما ترى في الصورة التالية المنقولة عن التمثال الذي في الفاتيكان برومية المعروف باسم ابلون بلفيدر

ويظهر مما رواهُ ديوجنس كاتب سيرة طاليس وغيرهِ من الفلاسفة انَّ طاليس فينيقي الاصل وانهُ من ذرية قدمُس الذي هاجر من مدينة صور الى بلاد اليونان وعلَّم اهلها الكتابة بالحروف الفينيقيَّة . وعليهِ فهذا الفيلسوف الكبير المعدود في رأس حكماء اليونان سوري الاصل وقد هاجر اباؤهُ من بلاد الشام هرباً من جور ولاتها في ذلك الزمان

ولا يعلم شيء من امر طاليس وهو فتى حديث السن ولكن لا يبعد ان يكون والداهُ قد نذراهُ لعبادة ابلون معبود قومهِ وان تكون امهُ علمتهُ اشعار هوميروس من نعومة

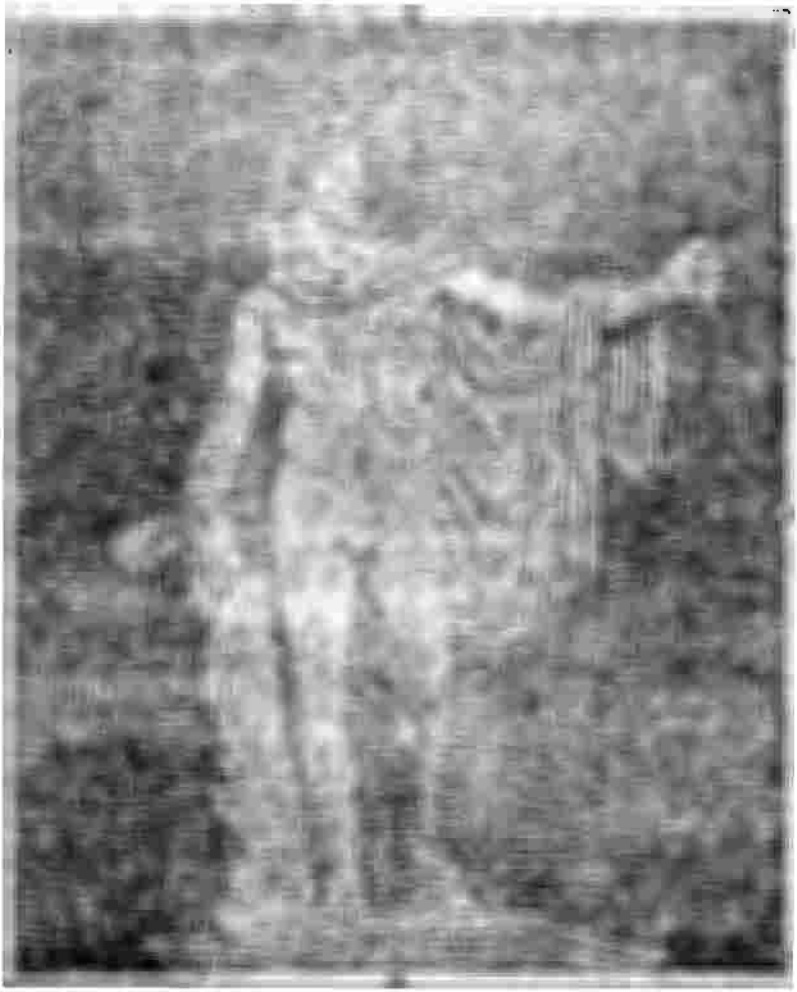

تمثال ابلون

اظفارهِ ثم تعلم في المدارس العامة حيث كان الطلبة يتعلمون القراءة والكتابة والحساب والغناء والعزف على المعازف في قسم من النهار ويمرّنون ابدانهم على الالعاب الرياضيّة كالجري والقفز والصراع والرمي في القسم الآخر منهُ لان حكماء اليونان كانوا يحسبون الرياضة الجسديّة لازمة كالرياضة العقليّة وان العقل لا ينمو ولا يقوى الاّ اذا قوي الجسد

معهُ. ولا يبعد ايضاً ان يكون قد حلف يمين الطاعة للحكومة حينما صار عمرهُ ست عشرة سنة على حسب عوائدهم في ذلك الحين

وذكر هيرودوتس وديوجنس ان طاليس اشتغل بالسياسة قبل اشتغالهِ بالفلسفة وقال فلوطرخس انهُ اشتغل بالتجارة ايضاً لان الاشتغال بها كان معدوداً من ضروب الحكمة فانها تجلب الخيرات من البلدان القاصية وتقرّب اصحابها من الملوك وتفتح لهم ابواب المعرفة والاختبار كما قال فلوطرخس في سيرة صولون. ويقال ان صولون الحكيم اشتغل بالتجارة لهذه الغاية لا لكسب الغنى وافلاطون اشتغل بها ايضاً فكان يبيع الزيت في مصر لكي يكتسب ما يقوم بنفقاتهِ. ولا يبعد ان يكون طاليس قد جاء الى القطر المصري واخذ الحكمة عن الكهنة المصريين كما قال ديوجنس. ويقال انهُ درس الهندسة في مصر وعرف علو الاهرام من قياس ظلها ثم أدخل هذا العلم الى بلاد اليونان ووضع فيهِ كثيراً من القواعد والنظريات. وقال ارسطوطاليس ان طاليس تعلم علم الفلك من الكلدانيين وذلك محتمل ايضاً لان الكلدانيين كانوا يراقبون الافلاك وينبئون بالكسوف والخسوف قبل ميعادهما كما سنوضح ذلك في مقالة اخرى. ولذلك تمكّن من الانباء بكسوف الشمس الذي حدث وقت وقوع الحرب بين ملك ليديا وملك مادي فخاف الفريقان منهُ واصطلح الملكان حالاً وازوج احدهما ابنهُ بنت الآخر

وحدث هذا الكسوف حسب تحقيق كبار الفلكيين المحدثين كآري وهند وفاج في الثامن والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ٥٨٥ قبل المسيح وهذا ينطبق على ما ذكرهُ شيشرون الروماني الذي قال ان الكسوف حدث في السنة الاخيرة من الاباد الثامن والاربعين [1] وقد حقق غيرهم ان هذا الكسوف حدث في الساعة الخامسة والدقيقة ٢٤ من اليوم الثامن من شهر يوليو (تموز) سنة ٥٩٧ قبل المسيح وذلك ينطبق على ما ذكرهُ هيرودوتس كبير المؤرخين. ومهما يكن من الامر فان طاليس اشتهر شهرة واسعة في كل بلاد اليونان بانبائهِ بهذا الكسوف قبل حينهِ ولا سيما لانهُ بيّن لهم انهُ عرفهُ بالحساب لا بالكهانة والتنجيم. وأُعطي حينئذٍ لقب الحكيم وكان قد صار في السادسة والخمسين من عمرهِ ونال هذا اللقب ستة آخرون وهم صولون الاثيني وبياس البريني وبتاقوس المتيليني وشيلون اللقدموني وكليوبولس الكنيدي وبريندر الكورنثي وهم حكماء

(١) الاولمپياد اربع سنوات وتبتدئ مدتها من الحادي والعشرين او الثاني والعشرين من شهر يوليو (تموز) سنة ٧٧٦ قبل المسيح

اليونان السبعة وكان طاليس رئيسهم وعمدتهم مع ان كل واحد منهم كان يؤثر اخوانهُ على نفسهِ في الكرامة

وذكر بعضهم ان هؤلاء الحكماء السبعة اجتمعوا مرة في هيكل دلفي وقال كلٌّ منهم قولاً يؤثر عنهُ فقال طاليس " اعرف نفسك " وقال صولون " لا شيء يزيد على حدّهِ " وقال بتاقوس " انتهز الفرصة " وقال شيلون " الغرور قبل السقوط " وقال بريندر " كل شيء بالمزاولة " وقال بياس " اكثر الناس اشرار "

وذكر فلوطرخس ان الحكماء السبعة اجتمعوا مرةً في بيت بريندر ليجيبوا عن مسائل سألهم اياها اماسس ملك مصر وكان معهم ملسًا زوجة بريندر وكليوبولين ابنة كليوبولس فاتكأوا للطعام واكلوا وشربوا وقرّبت عليهم ملسًا اكاليل الازهار ثم اخذ طاليس يجيب عن مسائل اماسس واحدة واحدة فقال ان الاقدم هو الله لانهُ غير مخلوق والاوسع هو الفضاء لانهُ يحيط بكل شيء والاحكم هو الوقت لانهُ يكشف الغوامض والاشيع هو الرجاء لانهُ دينة مَنْ لاشيء لهُ والراسخ هي الفضيلة لانها تصلح كل شيء والاضر هي الرذيلة لانها تفسد كل شيء والاقوى هي الحاجة لانهُ لا تُردُّ والمدينة الاسعد هي المدينة التي سكانها بين الغنى والفقر والبيت الافضل هو الذي لا يتعب صاحبهُ . ثم قامت ملسًا وكليوبولين وخرجنا ودارت كؤوس الخمر على الندمان

وسُئل طاليس مرة من السعيد فقال هو الصحيح الجسم الكثير الرزق المثقف العقل . وسئل ايضًا من الفاضل فقال من لا يفعل ما يلوم غيرهُ على فعلهِ وسئل ايضًا عما اذا كان الآلهة يرون الاشرار وهم يرتكبون الشرور فقال نعم ويرونهم وهم يفكّرون فيها . وقال مرة لا فرق بين الحياة والموت فقيل لهُ ان كان الامر كما ذكرت فلمَ لا تقتل نفسك فقال لانهُ لا فرق بين الحياة والموت . ومما يؤثر عنهُ قولهُ اذكر صديقك وهو غائب كما تذكرهُ وهو حاضر . وطاليس هو الذي علّم اليونان الهندسة والفلك والفلسفة واليهِ ينسب كثير من النظريات الهندسية مثل ان القطر ينصف الدائرة وان الزاوية التي في نصف الدائرة قائمة وان الزاويتين عند قاعدة المثلث المتساوي الساقين متساويتان والزوايا الثلاث من كل مثلث تعدل زاويتين قائمتين وان اضلاع المثلثات المتساوية الزوايا متناسبة . ولعلهُ استعمل هذه النظرية في قياس بعد المراكب عن البر . وقد حسب كسوف الشمس كما تقدّم وقال ان قطرها يعادل جزءًا من مئتين وسبعين جزءًا من دائرة البروج الا ان ديوجنس لا يقول ذلك بل يقول انهُ حسب الشمس اكبر من القمر بمئتين

وسبعين ضعفاً . وقسم السنة الى ٣٦٥ يوماً واشار على الملاحين ان يسترشدوا بالدب الاصغر بدل الدب الاكبر في سلك البحار لانهُ اقرب منهُ الى القطب الشمالي . وقد قال فلوطرخس ان طاليس كان يقول بكرويَّة الارض الاَّ ان ذلك غير محقق

وعلَّم ان الماء اصل الموجودات الماديَّة ونسب جذب الكهرباء والمغنطيس الى قوة روحيَّة كامنة فيها كما تقدم وحثَّ تلامذتهُ على درس الظواهر الطبيعيَّة لاجل معرفة اسبابها

وكان اشتغالهُ بالفلسفة مانعاً لهُ من الزواج ولكنهُ تبنَّى ابن اخته وقال البعض انهُ تزوج بشاعرة مصريَّة وان هذا ابنهُ منها . ولم يكن من اهل اليسار فالامهُ يعضد على ذلك وعلى ان علمهُ الكثير لم يكسبهُ مالاً فضمن كروماً من الزيتون في مدة قدَّر فيها الكسب فكسب مالاً وافراً ولكنهُ ردَّهُ على اصحابهِ بعد ان اثبت بالامتحان انهُ لو اراد المال لكان لهُ وفرٌ منهُ . وهذا يدل على انهُ كان يطلب الحقائق لذاتها لا لنفع ينالهُ منها . وسألهُ احد تلامذتهِ قائلاً بمَ اكافئك على افضالك الكثيرة عليَّ فقال لهُ اذا انتصبتَ للتدريس وذكرتَ لتلامذتك شيئاً من اقوالي فقل لهم هذا قول طاليس فانك ان فعلتَ ذلك اظهرت اتضاعك وجازيتني افضل جزاء

وقيل انهُ لما صار شيخاً طاعناً في السن خرجت بهِ امتهُ ليرقب النجوم فعثرت رجلهُ وسقط في حفرة فقالت لهُ عجباً ممن يرصد نجوم السماء وهو لا يرى ما تحت قدميهِ

ونصب اهالي مليتس تمثالاً على قبرهِ كتبوا عليهِ " ان مليتس اجمل المدن الايونية ولد فيها طاليس الفلكي العظيم احكم البشر في كل المعارف " . وقد خربت هذه المدينة الآن وعفت آثارها ولكن اسم طاليس سيبقى خالداً مدى الادهار

التخيل والتصوير

العقل والخيال يتنازعان الانسان من المهد الى اللحد فيخضع لسلطان الواحد تارة ولحكم الآخر اُخرى ويجمع بين الاثنين او يفرّق بينهما او يغلب احدهما الى الآخر تبعاً لمقتضيات الزمان والمكان واساليب التربية والمعيشة . وقد يُظَنُّ بادىء بدء ان سلطان العقل اقوى من سلطان الخيال وحكمهُ ارسخ في النفوس والانقياد اليهِ اسهل على الطباع لكنَّ الامر على ضدِّ ذلك لان الخيال كان الحاكم المطلق من حين دَرَج الانسان على